العولمة وسرايا الجهاد

بقلم الشيخ
عمر بن محمود أبو عمر
أبي قتادة الفلسطيني

لقد صـدر العديد من الكتب والأبحـاث في الشـرق والغـرب تتحـدث عن العولمة وتوصـيفها وآثارهـا، ومع أن هـذا الإسم صـار دالاً بوضـوح على الكثـير من المعـاني والوقـائع والسياسـات إلا أن أكـثر ما كتب الى الآن هو أشبه بتوصيف لحالة الذهول الـتي أصـابت قلاع التحصـين الذاتي للأمم والشعوب من غزو العولمة.

ليس ما يقال اليوم في المصادر الغربية عن العولمة في كونها حالة تنـازع، بل باعتبارها قـدراً لا يمكن رده كما قـال بعض الصـحفيين عنهـا، ومع أن ما كتب هنـاك حـول العولمة هو الأقـرب لواقعها وحروفها العملية إلا أن ما كتب عنـدنا ومن الأكـثر من الكتـاب هو معالجة فكرية تحليلية اعتـدنا سـماعها من أنفسـنا حين نكـون القابل لفاعلية الآخر فينا.

ولا شك أننا نعـانى من العولمة أنا وأنت فنحن مادتها، ولسنا فقط في دولابها مجرد فكرة مطلقـة، ولكن للأسف ما زلنا نتكلم عنها باعتبارها مصـطلحاً فلسـفياً معرفيـاً لا يعنينا إلا بمقـدار تحقق متعة ذهنية لمسـألة من مسائل الإغريق القدماء.

لن أعتـني هنا في هـذه العجالة أن أكتب لأخـواني لأقول لهم إن العولمة هي شبكة اتصالات واسعة وسريعة وسوق معاملات أجنبية وشركات عابرة للقارات واستثمار أجنـبي مباشر فـأغرق معه في وصف آلة العولمة دون أن أصل الى عقل القـاريء وهو أخي المسـلم إلى أن هـذه الآلة هي صـاروخ مـدمر يريد أن يجتاحه ويسـحقه ويجعل منه مجـرد رقم حقـير في دولاب شـياطين الإنس من خصوم أمتنا.

بلا شك أنه من الصـعب علي أن أصل مع أخي إلى ما أردت إلا إذا قلت له بعض حـروف العولمة وبعض واقعها وآثارها على حياته ووجـوده، وبالتـالي ساضـطر

لبعض الوصف المجـرد حـتى يبصر مقـدار الشراسة الـتي تمارس عليه، وبالتالي تحريضه أن يكون هو أكـثر شراسة في التعامل معها؛ أي أن يكون مجاهداً بحق لهذه الجموع الشرسة من الـذئاب القاتلة لا لشـيء الا لشـهوة الـدماء ورؤية الاشلاء والقتلى.

العولمة باعتبارها حلاً لمشـــاكل الغـــرب الوحيدة:

ابتعاد الغرب عن الغيب والحق والعدل وقيم السماء الإلهية والـتي جـاء بها الرسل يوقعه بعد كل فـترة نهـوض مـادي إلى مجموعة من المشـاكل الكـبرى والخطـيرة؛ وكلها تعـود الى قضـية الـثروة، فمن خلال الجشع غـير المتناهي للأغنياء مع قلة موارد تعيشها هذه البلاد تتمـاهى مع هـذا الجشع تنتج مجموعة أزمـات خانقة سـواء كـانت اجتماعية أو سياسية أو اقتصادية، ومع أن البعض من أهل هـذه البلاد دعا إلى الإقتصـار على المـورد الـذاتي لحل المشاكل المستعصـية والمتكـررة في الغـرب، إلا أن هـذا الحل يـدرك أصـحاب القـرار هنـاك أنه لا يحقق شـيئاً إلا بمقدار فقاعة صابون أمام الجشع غير المتناهي، وبتفكـير سـريع لا يحتـاج الى عقل جبـار ليحل المشـكلة الداخلية الـتي لا يتنـازل طرفا الـنزاع عن مطالبهما وهما جشع الغني وقلة الموارد الذاتية ومن ثم رفض القواعد السفلى بفطرتها أن تسلم بالواقع فلا بد لها من حل.

وهذا الحل بالطبيعي أن يكون عند الآخر وهـذا الآخر هو سلة المال وهو نحن بلا شك.

فنحن نملك الـثروة وفسـحة الأرض؛ أي أننا أشـبه بسلة للغذاء والمتعة يتحقق بها أعلى درجات الرفاهية.

مثلت أمريكا وأستراليا عند اكتشافهما مجالاً للحـل، لكن ضاق فضاؤهما عندما حل فيهما المرض نفسه بسبب انتقال الفايروس اليهما من خلال الانسان المحتل والقاتل للسكان الأصليين.

ولسنة الإغراء الإلهي لحصول التـدافع السـنني فـإن في بلادنا الكثير من حل لمشاكل الآخر.

هــذا الغــزو بما ســياتي من ذكر بعض أدواته هو ما يقال له اليوم ترطيباً لعنف واقعه بالعولمة.

فبـدل أن تتحـرك جيـوش عسـكرية لتحقيق الهـدف اختفت هـذه الجيـوش كعنـوان وبقيت كقـوة ضـغط ولكن تحرك شيء آخر.

الجيـوش العسـكرية لما تتحـرك يعـني أنها تجـاوزت الحــدود وكــذلك مــادة العولمة الجديــدة تقــوم على هــذا الركن تماما.

الحــــــدود الجغرافية والفكرية والتمـــــايز الأخلاقي والقانوني، وخصوصية الشعوب القيمية موانع دوماً للغــزو العسكري وهي تمامــاً موانع الغـزو الجديد الـذي يقـال له العولمة.

يقولـــون إن العولمة هي: تكنولوجيا وأســـواق مال وإدارة، وهي عبارات مقبولة في ظاهرها، ولكن حيث تفتت ليعرف ما بداخلها سـتجد أنها مفعمة بقعقة السـلاح ومشاهد الخراب وصراع الجيــوش وحيل الحــرب، أي أنك ستجد فيها كل ما تعلمه وقرأته عن الحــروب القديمة من غير اختلاف في أي حقيقة من حقائقها.

وأنا لا أريد الخــــوض معك في المطلقـــــات ولكن ســامثل لك بمثــال ربما تفهمه وربما تتهمــني بالغبــاء أني أتكلم عن العولمة العظيمة والتي كتبت فيها مئــات الكتب بهذا التسطيح والتسهيل:

الحروب القديمة كانت تحقق انتصارات الجيوش عن طريق سـحق الخصم وتـدمير الجيش المقابل ليتم سـلب خيراتــه، فــإن قبلت القــول أن ما يقــال له اليــوم بتحديد النسل ومنع انتشار أسـلحة الـدمار الشـامل على شـعوب معينة هو وســـيلة مرعبة لتحقيق عـــدد أكـــبر من القتلى وتدمير الجيوش دون كبير عناء من حركة جيش إلا بمقدار إثبــات تهديــده الحقيقي وليس مجــرد الاســتعراض فقط حينها تكون قد اقتربت من الحقيقة.

هـذه المـؤتمرات الـتي تعقد في بلادنا تحت مسـمى مــؤتمرات الإســكان هل هي أقل من جيــوش عســكرية وأزلام ورجــال بــوليس لإجبــار أمة من الأمم على البغــاء العلني؟!

ان هذه المؤتمرات هي جيوش وعسكر من عسـاكر العولمة الجديدة.

شرط العولمة الذي لا تتخلى عنه تدفق حر لـرؤوس الأموال ليسهل حملها دون موانع قانونية أو أخلاقيـة، وهي بلا شك صورة لا تختلف أبداً عن تلك السـفن الـتي كـانت عند الغـازي القـديم حين يـأتي الى بلادنا ويخـرج بها وهي محملة بكل كنوز الآباء والأجداد وإرث الأجيال.

الحقيقة واحـــــدة ولم تختلف الا الوســـــائل ولا بد لتكميل اللعبة من تسـمية جديـدة ومقبولة لهـذه المعركة وهذه الأدوات؛ فليس الخمر فقط من تسمى بغـير اسـمه اليــــوم، ومن ثم لأجل أن يغــــرق أســـاتذتنا في أصــــول الكلمات الجديدة ومعرفة جذورها اللغوية والتاريخية.

بلا شك سـيقول لك البعض أن هـذا تكـريس للثنائية التي هي عمـاد الصـراع والمدافعـة، والعولمة فتح للآفـاق وتحقيق كامل لسـعادة البشـرية دون اسـتثناء، فأصـحابها يروجون امكانية الجميع في الصراع والتسابق بقدر متساو بين كل الفرقاء، وهذا لعمر الله مغالطة مكشـوفة صـلعاء لا يسترها شيء، والواقع يكذبها من أين أتيتها.

نعم ســـــــــيدلل لك أن أدوات العولمة مبذولة ولم تقتصر على بلد دون بلد ولا على قــــــوم دون آخــــــرين، وسيقول لك ها قد حملنا الهاتف الجـوال ودخل الأنـتر نت الى مخادعنا وتحقق قــدر كبــير من الرفاهية عنــدنا كما تحقق قدره عند الآخر.

يقــــول هــــذا وهو يعلم أن بلادنا تفقد الكثــــير من الاحترام وهي تملك هذا الثراء، لأنه ثراء نعير دائما فيه إنه جاءنا من غــــير جهد منا ولم نحققه بــــذواتنا، ولا بإبــــداع عقولنـا، بل هو ثـروة تفجـرت من تحت أقـدامنا وبتفـتيش غيرنا واكتشافه، وبالتالي ينظر الينا كمجموعة من الأغبياء ســـاقتهم أقـــدارهم واضـــطراب مســـالكهم إلى كـــنز لا يستحقونه، وتأكد هذا الشعور وتفاقم عدم الاحترام لنا أننا اتخذنا هذا الثراء مطية لاسـتهلاكنا والتنعم به حـتى الثمالة دون أن نحقق قـدراً ولو يسـيراً من الاسـتثمار الـواعي الــذي يضـمن شـيئا من هـذه الرفاهية لأجيالنا القادمــة، وبالتــالي صـرنا في إطــار العولمة أي المعركة الجديــدة ليس مجرد ثروة منهوبة وسـلة جـواهر للسـرقة بل حققنا لهم متعة جديدة وذلك بأن نسوق لهم منتجـاتهم، ومـرات

كثيرة زبالإتهم كتلك الأسلحة الصدئة التي هي بأيدينا أشبه بـدمى الأطفـال نقلبها ونسـتعرض بها جيوشـنا السـمينة المهترئة دون أن تحقق لنا أي قــدر من الأمن أمـــام أي عدو مهما كان صغيراً أو تافها.

قـرأت الكثـير مما كتب عن العولمة والـتي صـدرت في الغـــرب فلم أجد قط أي ذكر لأمتنا فيها ولا عند ذكر الأرقام السوقية للمنتوجات التي تعبر عن مقدار الرفاهية وتنوعها ذلك لأننا لا شـيء في هـذا الصـدد وبالتـالي لن يذكروا شيئاً عن مصـدر هـذا الـثراء الطـاغي للمجتمعـات التي يبنونها ويتصورون رفاهيتها..

في العادة عند ذكر دورة الحياة لا بد من ذكر الإنتاج ومجالاته وبعده يتم ذكر فضاء الاستهلاك، لأن دورة الحياة الاقتصـادية لا تتم إلا بهما أي انتـاج واسـتهلاك؛ وليتحقق قـدر من الرفاهية والـثراء لا بد أن يكـون الخط البيـاني للإنتاج أعلى من الخط البياني لضرورات الحياة وواجباتها، وكلما زاد الفـارق بين الاسـتهلاك والانتـاج ترتفع درجة الرفاهية في أمة من الأمم، وكل ما كتب هو حـــديث عن قسم الإستهلاك دون مرور ولو إشارة عـابرة على مصـدر الإنتاج لأن في ذكره فضح لسر المعركة الجديدة التي هي عين السلب والنهب لكل صور الغزو.

في آخر دراسة عن العولمة لصـحفيين انجلـيزيين حققا جائزة لرصدهما الـدقيق لها ولأساسـياتها كما تقـول الجائزة نشرته إحـدى الجرائد العربيـة، سـرت مع الكتـاب من أوله إلى آخـره مشـدوها بحركة الـدمى الـتي يحركها الكاتبان أمام طفل صـغير مثلي مغـرم بالأرقـام والألـوان المزركشية لوصف مضطرد ممتع لحالات تلهيك عن كونها مرضـاً أو عافية وهي قطعـاً سـبب اغـراء الجريـدة الـتي عانت فترجمت الكتاب وربما دفعت المال لصـاحبيه حـتى تنشـره، أقـول سـرت مع الكتـاب مشـدوهاً أمـام حركة الـــدمى الملهية والظاهرية والسـاترة للعبة الحقيقية لما خلفها من اخـراج وأصـابع ذكيـة، لأني بالفعل شـعرت أني ســرقت في نهاية المطـــاف من أن أســال نفسي حين يعــرض هــؤلاء علي مقـــدار المتع الـــتي تحققها العولمة سؤالاً ساذجاً لرجل هو للبداوة أقرب:

ومن أين تتحقق كل هذه المتع العظيمة لهذا العـالم الذي صار في بعض مناطقه يضن بكأس الماء؟

عنـــدما نتكلم عن رفاهية وثـــراء فلا بد من ســـؤال طبيعي من أين لنا هذا وما هو مصدره؟

لكن أن أخدع بكل الألــوان الجميلة والملهية والبرقة والسارقة للعيون عن هـذا السـؤال فهي تهمة توجه لمثل هذه العروض الكاذبة.

نعم هم لن يســألوا ولن يستعرضــوا شـيئاً من ذلك كله لأنهم ان تكلمـــوا حينها ســـينقلب كل هـــذا العـــرض الجميل الى موقع جديد آخر فيه الفقر والـــــــــــــدم والاضطرابات والصراعات والوحشية وحينها نعلم أن وراء هذه الصور حرب دائرة بكل معنى الكلمة.

فحين تجابهك صـورة العـالم بقاراته الخمس حسب تقسـيماته الجغرافية الجديـدة والمقصـودة وتمعن النظر فتجد ان ما يقال له قـارة أوروبا هي في مسـاحتها تعـادل بلداً أفريقيا واحد هو السودان، فإذا وضعت هذه المعلومة كصورة خلفية أمام مجموعة الأرقـام الاسـتهلاكية ومعـدل الرفاهية تـدرك كم ضـحكوا عليك في لعبة عـرض الـدمى والصور الباهرة.

كأس النفط ورغيف الخبز:

ضع أمـــام كل ما تقـــرأ عن شـــركات الإتصـــالات وشركات متعددة الجنسيات زعموا - بل لها جنسية واحدة - وشركات المضاربات، وضع أمـام كل المنتجـات الجميلة من ألبسة وعطـــور ودور أزيـــاء وســـيارات فارهة ثمينة وشركات بناء، وضع أمام كل ما يتاجرون به حتى لا تنسى مهنة البغـاء والـتي هي موظفة في أسـاسيات العولمة مع تجـارة الرقيق الأبيض، ومر في طريقك بصـناعة السـينما التي صـارت الأعلى تكلفة في كل ما يحتاجه الانسـان من رفاهية عجيبة وعلى لاعـبي الرياضة وتكـاليفهم والاتجـار بهم وبلعبهم، ضع هـذا كله كـدورة اسـتهلاك يغرقونك في تفاصيلها وأرقامها الفلكية ويبهـروك بها كمشـاهد شـغوف أمام عينيك وما أرادوا تغييبه عنك ضع هذا كله أمام كـأس نفط وكسرة خبز كل ما يقولونه عن الاســتهلاك وابداعاته وجــــوانب الـــثراء في كفة مقابل كفة مغيبة هي النفط والخبز.

فما يحـدثوك عنه هو ما يعـنيهم وما يسـترونه هو ما يعنيك.

كل ما يقولـــون هو ممارســـتهم ومنهم ولهم لكنهم أبداً لن يحدثوك عما عندك وما تحت قدمك.

كل حـروب العصر قـامت على هـذين الأمـرين أو ما تعلق بهما وكل ما سيحصل من حروب أنت تشـهد بعضـها أو بعض مقــدماتها تــدور حــول مصــدر حيــاتهم عيشــهم وهنائهم.

وحين نستعرض هذه المادة العجيبة وهي النفط نجد أن حضارة القرن كلها تقوم عليها، ومنذ اكتشافه وهو يعد شريان الحياة في الغرب،وهومسـتعد أن يـدمر ويقتل في سـبيل تأمينـه، ففي رسـالة وجهها ونسـتون تشرشل وهو وزير الحرب يومها الى قائد الأسطول البحـري البريطـاني يقــول له فيهـــا: عزيـــزي فيشر ما هو المطلـــوب من الأسـطول الآن وفي المـدى المنظـور:هو ضـمان وصـول البـترول الى بريطانيا العظمى؛ رخيصـاً في حالة السـلم، مؤكداً في حالة الحرب.

ولعل الدافع المهم لضرب اليابان بيرل هاربر مع أن البعض عده غباءاً يابانيـاً لأنه يـبرر لأمريكا دخـول الحـرب ضـدها هو الضـغط الأمـريكي عليها خلال الحـرب العالمية الثانية بقطع النفط عليها أمـــام مجموعة من المطـــالب الأمريكية المذلة لليابــانيين خلال الحــرب وهــذا تؤكــده الدراسات الجديدة وتؤكد عليه.

وأمريكا منذ اكتشــاف البــترول وهي تــراه ســلعة رئيســية واســتراتيجية حيوية في الحــرب وضــرورية في الســلم ولازمة للنفــوذ الــدولي، وهي عبــارة أنقلها حرفيا لرسـالة وجهها وزير الداخلية الأمـريكي هارلد ايكس سـنة 1942 الى رئيس أمريكا يومها فرانكلين روزفلت.

والحــديث عن هــذه الســلعة وحيويتها وكونها مــاء الحياة لحضارة اليوم يطـول جـدا، والعجب كل العجب أن هذه السلعة الغالية والتي لم تظهر الأبحاث المحمومة أي بديل لها في الوقت الحاضـر؛ أقـول هي السـلعة الوحيـدة الأكثر تخلفاً في الأسعار أمام مثيلاتها من السـلع الأخـرى، وهــذا له دلالة واضــحة في عــالم يكــون فيه الثمن لنكتة ممثل على المســـرح أغلى من ألف برميل نفـــط، وليس السـبب في هـذه المفارقة قسـوة المسـتهلك واسـتغلاله لكن هو غبـاء وضـعف صـاحب السـلعة، وشـعوره بالدونية والحقارة لنفسه.

ولعل هذه الكلمات الــتي قالها الملك عبد العزيز آل سعود لعبد الرحمن باشا عـزام سـنة 1948 يـوم أن كـان أمينــاً عامل لجامعة الدول العربية عنــدما طلب منه استخدام البترول كوسيلة ضغط على الغــرب من أجل أن يغير موقفه من القضية الفلسطينية.

فأجابة عبد العزيز آل سـعود: إنــني لا أفهم ما تتكلم عنه، إننا لم نكن نعرف البترول وانه موجود بأرضـنا فجـاء الأجنبي وقال إنه موجود، ولم نكن نعرف كيف نسـتخرجه فجاء الأجنبي فاسـتخرجه لنـا، ولم نكن نعـرف كيف نبيعه فذهب الاجنبي به الى السوق فباعه، وأخذ الأجنبي نصـيبه وأعطانا نصـــيبنا، فلمـــاذا تريـــدني الآن أن أعـــاقب الأجنبي؟؟!!

هذه الكلمات الغبية في عـالم الصـراعات والمعـبرة عن مقدار التخلف هي ما نسمعها اليـوم تمامـاً من صـناع القــرار والمقــربين منهم عند أي محاولة للفهم أو دخــول حركة الحياة وفهم سنة التدافع.

فــالبترول حيــاتهم وروحهم وهو تحت أقــدامنا ومع ذلك فما نحن إلا قابضـــين في النهاية لبعض ثمنه حسب وصف الصـقر الـذي يعـرف كيف يضـحك على شـعبة، ولا يعدو ان يكـون غبيا وبدرجة متناهية في الغبـاء حين يتعلق الأمر بأمر ادارة الحياة والقضايا المصيرية.

من حقنا أن تنشق حناجرنا ونحن نصـــرخ: يا لغبـــاء قادتنا، وياله من نصيب يعطوننا إياه.

العولمة والقوة:

يجمع الكــاتبون عن العولمة بأنها ظـــاهرة قديمة وليست حادثـة، ويـدللون على هـذا بأدلة كثـيرة، لكن كلها تقوم على حوادث في مجملها القاسم المشترك بينها هو:

عملية الخـــروج الى الآخر لتحقيق مكاسب مادية جديـدة وزائـدة، وذلك بتسـويق بضـاعته أو بجـني خـيرات الآخر اليـه، وكل ما كتب وحسب اطلاعي تجـاوز أو أغفل عنصر القـوة العسـكرية لتحقيق هـذه المكاسب الجديـدة والزائدة، ومع هذا الإغفال تم كـذلك اسـدال السـتار خفية على الجانب السياسي ببعض الخجل.

لم يرتبط في ذهن القــارىء المســلم أبــداً مقولة النظام العـالمي الجديد وشـعار العولمـة، كما لم يـروا أن تركيبة العـالم في شـرعية القـوة فيه وهـذا الالتقـاء لهيئة الأمم المتحـــدة الملحـــدة هو هبة من هبــات العولمة في بعض مراحلها أو صورها.

حين يتحــدث مؤرخو مقولة النظــام العــالم الجديد يجزمون أنها فكرة قديمة كذلك، ومظهرها هو وجـود قـوة عسكرية واقتصادية متمكنة، تملكها دولة واحدة أو تحالف دولي في عصر بعينه، تستطيع هـذه الدولة أو هـذا التجمع أن تجعل إرادتها فاعلة أو مـــؤثرة وغـــير قابلة للتجاهل وعدم التقدير في كل أجواء العالم.

هـذه التصـورات لو تأملتها في وقائعها لا تختلف من زمن إلى زمن إلا في شـــكل القـــوة وصـــورة الاذلال والسيطرة، وبـالاختلاف في تحقيق هـذه الارادة وتفعيلهـا، وإلا فهي تــدل على حقيقة واحــدة في كل العصــور وهي صورة الغزو وتحقيق الغنيمة.

إن فهمت هذا فلا يهمك بعدها أن يسـتدل لك غـيرك على توصـيف ما هو النظـام العـالمي الجديد وبـأي مثـال سيفسر لك وضـــعه فكلها تعـــود لحقيقة الغـــزو والغنيمة وفرض السيطرة.

لكن إن كنت بصـــيراً اهتم فقط وأنت ســـائر مع الكـــاتب أن لا يســـرقك بعبـــارات جميلة كالديمقراطية وحقـوق الانسـان والسـلام العـالمي ونـزع أدوات الـدمار الشـامل فهي عبـارات سـخيفة ألبست على واقع دمـوي وشرس وقـذر، تكـون أشـبه بالمسـاحيق على وجه وحش دميم قاتل.

خذ شـــعار الديمقراطية وحقق كم يخفي تحته من قهر ودكتاتورية وتسلط وسحق للآخر!

يقولون لك بكل صفاقة وقلة حياء وتبجح: هـذا عصر الديمقراطية والحريات السياسية وحقـوق الانسـان، وأنت ترى بأم عينيك أن ثلاثة شباب في نيويـورك ضـحكوا فقط ضـحكوا في ذكـرى يـوم الحـادي عشر من سـبتمبر يـوم الغــزوة المباركة كـانت ضـحكاتهم سـبباً لسـجنهم، وأنا ضربت لك هذا المثال حتى أمـارس عليك عملية التضـليل وتغطية بصرك فلا تـرى آلاف الضـحايا والقتلى وعشـرات

الآلاف من المشردين والمسجونين لأقل من هـذا الصـنيع، وكل ذلك من بركات عصر الديمقراطية والسلام العـالمي والنظام العالمي الجديد.

إنها مهزلة الشعار الـتي لم يتطـور في البشـرية منذ أولها إلى يومنا هـذا أكـثر منـه، ولا صـار خلق في الوجـود أعمق وأقوى وأرسخ من خلق الكذب.

حين ترى العالم كله بلداً واحداً ويتحدث بلغة واحدة وهي لغة الشـرعية الدوليـة، وتحت مظلة الأمم المتحـدة الملحدة وحين تنكش عـودا صـغيرا تحت هـذه الشـعارات فـترى كيف تـدار المواخـير، وأي لعبة عهر تمـارس داخلها تعـرف أن العـالم صـحيح محكـوم بنظـام عـالمي جديد وبشـرعية دولية واحـدة لكنها لا تختلف عما يسـمونه هم بشـريعة الغـاب، بل إن للغـاب شـريعة وقانونا هما أرقى بكثـير مما يمارسه هـؤلاء الـذين هم اقسى من الـذئاب والكلاب المسعورة.

ولتكتمل صـورة تـرقي لعبة مهزلة الشـعار وقـانون الكذب فإن الاحتفـالات سـمة لم تتخل عنها البشـرية، فما زالت قطر والبحرين والكويت والامارات والأردن وبروناي حـتى دولة فلسـطين المسـتقلة كل هـذه الـدول وغيرها تحتفل احتفـالاً مهيبـاً وعظيمـاً بيـوم الاسـتقلال العظيم، وفيه تسـتعرض الجيـوش الجـرارة وتعـزف الحـان النصر الذي تحقق.

في الأمم المتحـــدة مقاعد لكل دولـــة، وهي مقاعد تسـفك في داخل البلد الواحد الكثـير من الـدماء ليتحقق لأحد المتحاربين أن يحل فيـه، وكل دولة لا تـدخل فيه هي دولة خارجة عن النظام العادل المتطور الراقي؛ وبالتـالي هي دولة خارجة عن القـانون، وبالتـالي فـأول احتفـالات الاستقلال العظيم هو احتلال مقعد رقمي في هذا النظـام العظيم، والكل يصـرخ ويصـيح بوجـوب احـترام الشـرعية الدوليـــة، ووجـــوب تنفيذ قـــرارات هـــذا المجمع العـــادل الديمقراطي القائم من أجل إحلال السلام في العالم.

لكن كل هـــذه الـــدول أرقـــام لا قيمة لها في الهيئة العمومية بل هي مظهر احتفـــالي كيـــوم الاســـتقلال القلســـطيني، وفيها قلب يســـمى مجلس الأمن له بعض الحواشي المزينة والمربكة في تفســـيرها، تـــديره خمس دول باعتبارهم اعضاء دائمين، لها حق حمل العصا وتاديب

الجمـوع وسـرقة الأمم وتسـيير طـائرات وبـوارج وقصف المـدن وقتل الآلالف من أجل تحقيق رفاهية شعوبها، إنها بحق فكرة من أرقى ما صنعه الإنسان المتغلب القذر ضد الإنســان المقهــور في تــاريخ الأمم والشــعوب على مر التاريخ.

وسلامات يا شرعية دولية وسـلامات أيها الإسـتقلال العظيم..

وبعدها فليمت الكل وتعيش حضارة الرجل الأبيض.

وفي الوقت الذي تقـوم به هـذه الـدول بصـنع أرقى أدوات دمار العالم وتخريبه تمنع غيرها تحت دعــوى احلال السـلم العـالمي من صـنع لغم أرضـي.. لأن في صـناعته حسب وجهة هـذا السـيد الـديمقراطي إسـاءة لإنسـانية الإنسان وآدميته.

ولا أريد أن أســتطرد أكــثر من هــذا في الجــوانب الرائعة لعالم حضاري ديمقراطي يعيش تحت شعار بــراق هو العولمة والنظام العالمي الجديد.

<u>ويبقى السؤال: ماذا نفعل؟</u>

بلا شك أن خصـمنا قد حبك لعبته من جميع جوانبهـا، فقد ترقت معارفه الإمبريالية والاستغلالية، وأعظمها رقي هو جانب الخداع والتضليل، فهو خصم قرأ التــاريخ ودرس الشعوب وعرف تجارب أجداده في صراعهم للتغلب على الآخر، فلم يـترك شـيئا ينفذ منه إليه إلا أحكم إغلاقـه، من ثم وترتيب موقف جاهز لمن أراد الدخول إليه أو معاناته.

فلو ضـــاع حقك منه فإليه المشـــتكى، ولا حركة لك إليه إلا برضاه، فإن خرجت عنه فـأنت خـارج عن شـرعية العالم أجمع فأنت إرهابي ومجرم، وهو لن يـؤمن لك هـذا الحق حــتى يأخذ منك اعترافــاً بــأن تــدخل في طاعته وسلطانه، وأن تصبح جزءاً من دولاب قوته ورفاهيته.

ولو أردت أن تنعم بخيراتك فلن تســتطيع إلا بإذنــه، ولو حاولت غير هذا فسـيجعل حياتك جحيمـاً لا يطـاق.. إذ من خيارات التضاد في داخل بلدك ماهي إحدى أدواته في تحقيق انتصــاراته عليــك، دع عنك خيــارات التضــاد مع جيرانك.

ولو... ولو... ولو... فكر بأي مطلب من مطالبك من خلال هـذه المظلات الكوكبية أو العالمية فسـتجد أنك في النهاية في حضـنه وتحت سـقفه، وأنت حينها أيها المسـلم العابد أمام خيارين لك فقط؟:

أولاهما: الإنسـحاب نحو الـذات الى داخل نفسـك، ولن تعــدم الــدليل الشــرعي، فجملة المقــالات والكتب المأثورة عن السلف بعيب الزمان وضـرورة هجـران أهله تحقق لك الرضا أنك مصيب في اختيارك، وسـترحل وأنت تحلم بـــالمخلص القـــادم من الســـماء، وذلك من خلال معجزة باهرة فوقية خارج إرادة الكل من جموع البشرية؛ وبها يتحقق الغلبة لأهل الحق والدين.

هذا الإنسحاب نحو الذات يمارسه البعض وهو يكذب كما يكذب غيره في استخدام لعبة الشعار الزائفـة، وذلك بـأن يجعل هـذا الإنسـحاب هو المخـرج من الفتنـة، وهو الطريق السـلفي المهتـــدي والوحيد فقط للمشي على هـديهم، وكل خـروج عنه هو خـروج عن هـدي السـلف الصالح، والشعارات جـاهزة، ومما يؤسف أن مصـنعها هو الوحيد الباقي اليـوم لم يخـرب فينا ولم يتوقف ولم يبطل إبداعه.

والبعض الآخر وهم الأسـلم صــدراً والاتقى دينا ينسحب الى الداخل وهو يعلن أنه جهد المقل، فهو يعرف أنه رضي بـأدنى درجـات الإنكـار، وهي المرتبة الثالثة منه وذلك بأن ينكر بقلبه ويدعو في سره أن يحقق الله تعالى الأمل وأن ينصر جنـده الموحـدين، وهو يعـرف أن سـبب انسـحابه هـومن ثقل المسـؤولية ومشـاقها ووعـورة الطريق.

ثانيهما: هو من تلبس ببعض تسـويقات الطـاغوت عليه، فهو وطني يعترف بخصوصـية بلـده وموطنه وإن لم يعـترف بـذلك بلسـانه، ورضي من نفسه أن يكـون سن دولاب لحركة عجلة الشـرعية والعولمـة، ومما يؤسف له أن هـؤلاء هم أكـثر النـاس دعـوى أنهم من قـارئي الواقع وسـنن التـاريخ، وأنهم أبصر النـاس بما عليه الخصـوم وخططهم، وإن كـان لهم عـذر فهو عـذر وحيد فقط وهو أنهم استغرقوا في كتب الآخر حتى التضلع، وهي كتب كما تقدم لا تكشف أدوات المعركة وإن كانت تكشف صـورتها

الظــاهرة، فصــاروا من ضــحايا اللعبة دون أن يشــعروا، ولــذلك تســتغرب حين يتحــدث الواحد منهم عن اطلاعاته وما اســتوعبته وحفظته ذاكرته من أرقــام وحــوادث يبثها في كتبه وأشــرطته عن مخططــات الخصــوم وعن مكــره وخبثه ودهائه، لكنهم غفلــوا عن لعبة القــوة وأداة الصــراع الحقيقي، وغــابت عنهم حركة الجيــوش وبطشــها وقســوة تركيبهــا، هــذا إن أحســنا بهم الظن، وإلا فــإني في أوقــات كثيرة أعزو هذا الجهل الى عدم التربية العســكرية لهــؤلاء الشــــيوخ والمفكـــرين، ولا أقصد بالتربية العســـكرية هي دورات فك وتركيب الأسلحة، والرمي عليها فهذه لا تصــنع أبداً عقلية المفكر المسلح.

هــذا القسم يســمي نفسه بالإتجــاه الاصــلاحي، ولا يهمني أبداً أن أنــاقش مفــردات طرحــه، فمما يزعجك أن شــيخ الاســلام ابن تيمية رحمه الله تعــالى يســتدل به كل ألوان الطيف، فالشيخ ابن لادن يستدل به والشــيخ حمــود العقلاء رحمه الله تعــــالى كـــذلك وكـــذا الـــدكتور أيمن الظــواهري، ويســتدل به كــذلك الشــيخ ســلمان العــودة والشــيخ ســفر الحــوالي والشــيخ الالبــاني، ويســتدل له القرضاوي وربيع المدخلي ومحفوظ النحناح وعبد الســلام ياسين وطه جــابر العلــواني، وبالتــالي فأنا أرفض الــدخول في معمعة الاســتدلال الإنتقــائي أمــام معركة واضــحة المعالم وأستغرق في لعبة الشــعارات كما يريــده البعض، لكن يكفي أن أتهم وأعلن بكل وضوح حين أفهم ما يريده هذا التيار أنه رضي أن يعمل تحت مظلة عدوه.

تهمة أوجهها وأنا أعــرف أن خصــمي عنــده ضــدي عشرات الأمثلة التقطها من إذاعة هنا وإذاعة هنــاك، ومن جريــدة هنا وجريــدة هنــاك أني أنا لعبة بيد الخصم لتحقيق مقاصــــــده في بلادي، وأن كل ما أعمله ويعمله تيــــــار التخـــريب لنظـــام العولمة والنظـــام العـــالمي الجديد هو اعطاء المبرر لهذا الخصم أن يظهر ما يضــمره علنا أمــام هـــذه الجمـــوع العظيمة من أمـــتي، لأن أمـــتي عظيمة وشعوبنا رقم خطير يخشــاها هــذا المتغــول فهو يبحث عن المبرر لصنائعه.

أفكار حالمة وحجج رائعة تجعل معركة بدر لولا هيبة القــديم مع النص الربــاني الــذي يمجــدها لم تحقق شــيئا سوى استعداء الخصم علينا، بل وكــانت الســبب لتجــييش قـــريش قافلة كاملة لمعركة بعـــدها بســـنة واحـــدة لقتل سبعين رجلا لمدينة تجعل هــؤلاء القتلى يحققــوا بكــاء في

كل بيت فيها، فكل شيء يصلح حجة حين تتعملق الأفكار الأرسطية والتحليل السياسي الذي رماه لنا الشيوعيون والقوميون كزبالة عصر اكتشف الناس مهانته.

وسيقول البعض هذا تقزيم للقضية وتشويه لها، أنا أرجو منهم أن يراجعوا أنفسهم بصدق حين يسألون: ماذا يريدون؟ وما هي وسائلكم؟

ولا ينسون قبل ذلك كله أن يسألوا السؤال الكبير الذي هربوا منه جميعا: ماهو حكم الله في هذا الواقع وماذا قال حكم الله في معالجته؟

ولعل السؤال بقي قائما... ماذا نفعل؟

مع إقراري التام أن جزءاً كبيراً من مشكلة المسلمين تعود الى عدم فهمهم للإسلام وغياب الأحكام الشرعية عنهم واختلاط البدعة بالسنة، مع أن الجهل الذي أعنيه هنا ليس الجهل في أحكام الفرد إنما الأحكام المتعلقة بالطوائف والجماعات والديار، أي حكم الله تعالى فيما هو كوني، كحكم الله تعالى في الأمم المتحدة.. وحكم الله تعالى بنظام الجنسية.. وحكم الله تعالى في الشرعية الدولية.. وحكم الله تعالى في الوطنية.. وترسيم الحدود.. فمثل هذه الاحكام مغيبة والحديث عنها ضعيف وما بقي هو أشبه بالقضايا المعرفية الذهنية فقط أي ما يسمى عند البعض بالافكار، لكن أعتبر أن أعظم مصائبنا هو عجز العقل المسلم في الإبداع وذلك في تحقيق الحكم الشرعي وتحقيق طرق الصراع مع الخصم وخاصة عند من آمن بالحكم الشرعي أو اقترب منه.

لعل القهر يصيب الكثير من المعانين في قضايا الصراع وتحقيق الوعود الإلهية وموضوع الجهاد حين يطالعون هذه الأبحاث الكثيرة والتي تأخذ المقدمات المتكررة والطويلة والمسروقة في أغلبها أغلب الكتب والمصنفات، فهي هي عند كل خطيب ومصنف وواعظ ومناظر، وليس القهر لما تقدم فقط بل لأنها صارت شتاراً يتخفي تحته عمق الجهل عند الكاتب والمفكر والواعظ.

وهاهنا سأهرب من اطلاق حكم الجهل على هؤلاء البواقع والفواقر الذين يحاربون ويبذلون جهودا جبارا

لكنها بغباء منقطع النظير في تحقيق من هو السلفي ومن هو نصف السلفي ومن هو سلفي الاعتقاد خلفي المنهاج.

الحديث يدور مع غـير هـؤلاء، وهم العقلاء من أمـتي الـذين آمنـوا بـأن الواقع يجب تغيـيره، لمخالفته لأمر الله تعـــالى أقـــول مخالفته ولم أحـــدد درجة المخالفة وهم يؤمنـون أن فتنة أمتنا في عقمها في عـدم وجـود عبقرية الإبداع في التغيير واستصناع أدواته.

الهروب الى العمومات هو فن أمتي الـذي تتقنه بعد إتقانها فن الشعارات.

هذا العالم المحكوم بالشر والضلال والكفـر، وأحكم فيه الكفر كل المنافذ لئلا يخـترق أو يحـارب واسـتخدم أقسى درجـات العنف والقتل ضـدنا، ونحن رفعنا ضـده شـعار الجهـاد فما هي طـرق هـذا الجهـاد وكيف نمارسه وكيف نحقق صوره؟

هذه العلاقة التصـادمية الخطـيرة بينك وبينـه؛ فهو لا يقبل منك إلا الـدخول في طاعته وأن تصـبح جـزءاً من شرعيته، وأنت حين أسلمت وجهك لله تعالى علمت أنه لا يتحقق اسـلامك الا بضـرب هـذه الشـرعية من اساسـها وجذورها لا مظاهرها فقط.

ما الحل اذا؟

الحل شـرعاً وقـدراً هو الجهـاد، والجهـاد هو القتـال بتفسير كل كتب الفقه له، دون زمزمة أو تلكؤ.

هـذا الحل الربـاني والـذي يمكن لنا أن نهـرب منه تحت دعـاوى كثـيرة نخفي تحتهـا: عظمة التكـاليف الـتي نخاف منها، وعقمنا المتجذر في ابداع أدوات الصراع.

أمتنا بحاجة لفقيه ولا شك يعرفها حكم الله تعـــالى في النـوازل والحـوادث لكنها بحاجة أكـثر إلى من يقودها في تحقيق هـذا الحكم على أرض الواقـع، وهو ما ينقصـنا منه الكثـــير، ويهــــرب من يقـــال لهم بأهل الفكر الى عمومات وابداعيات ذهنية تصلح حديثاً للصالونات الفكرية منها الى أن تكــون خطة عمل لطوائف الهــدى وشــباب الجهاد.

وللأسف إننا وإن كنا نفقد الكثير من الفقهاء وكثر قراء الفكر ومتعاطي لذة الكلام الا أننا نفقد أكثر قادة الحرب ومبدعي القيادة في حربنا الشرسة ضد هذا الخصم العنيد المتغطرس القاسي متعدد المواهب.

الجهاد يعني القوة لأن العالم تحكمه القوة.

الجهاد يحتاج الى ابداع لأن العالم سبقنا بأشواط بعيدة وكثيرة في تجذير أمراضنا ومعالجة أخطائه أولاً بأول.

الجهاد يعني الدم والقتل والتشريد والسجن وكل أنواع البلاء لأنه أقصى حالات الصدام الذي تعرفه البشرية في صراعاتها فلا يجوز لنا أن نجعل النتائج المرحلية لهذا الجهاد دليل خطئه، وبالتالي البحث عن البدائل.

لنعترف أننا عقمت عقولنا في تحقيق كيف نجاهد فذهبنا نحلق في أجواء الإصلاح الموطني وصنع الكلمات الرائعة والتي لا تملك دليلاً واحداً على صوابها الا أنها تحقق النصر العظيم لنا بلا تكاليف!

لن يعجز الباحثون في أحلامهم عن البدائل الجميلة السهلة أن يلبسوا أي بديل لباس الشرع والدين، فهي مهمة أتقنت على مدار التاريخ الإسلامي، إذ لن تكون أفكارهم أكثر سوءاً من التصوف وفلسفة اليونان ومع ذلك فإنه لم يعدم أهلها الاستدلا لها بقول الله تعالى وقول الرسول وحدث كذا وكذا.

ولن تكون كلماتهم أكثر سوءاً من فقه الحيل الخبيث لنجد له مستنداً من قاعدة أو حادثة تاريخية ما.

وكما تقدم فشيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى جاهز لتمرير أي حلم لرجل أصاب عشاء ثقيلاً فبدأ يبدع في حلمه.

إيه يا ابن لادن كم عريت مفكرينا وقادة الفكر في العمل الاسلامي.

أواه عليك أيها الاسلام العظيم حين حملك أقزام يرضيهم بدل دخول البيت الأبيض وقصر الاليزيه أخذ رخصة لدرس في مسجد أو أخذ أذن لجمعية خيرية.

متى تنتج أمتي "ارطبونات" نضرب بها ارطبون الروم كما قال الصديق رضي الله تعالى عنه؟!

أيها المشايخ والمفكرون:

بالله عليكم أوقفوا التزوير بشروحات المتون التي شكت من كثرة الشروح وليقبل بعضكم لا كلكم على علم الحرب وفن ادارة الصراع.

يا أهل النظر والفكر والفقه في أمتي:

اعلموا أنه ينتظركم الكثير من الأسئلة لتجيبوا عليها، يسألها شباب الاسلام لكم.

تقولون نجاهد..كيف نجاهد؟

أليس الجهاد يحتاج الى تنظيم وادارة؟ علمونا كيف نفعل هذه الأمور.

حلت بنا أزمات فعلمونا كيف نبدع المخارج في حلها ونخرج منها ونصمد أمامها بالتخطيط.

علمونا كيف نعسكر الأمة لأيام كريهة وسداد ثغر.

هذا ما نحتاجه منكم اليوم، فإن عجزتم عن تقديم هذا فلنا طلب وحيد منكم هو أن لا تسرفوا في استخدام الورق والحبر وطباعة الكتب المسروقة والمكرورة.

وإن وصلكم دخان المعارك وضجيجها فقولوا: ليس هذا فننا.

ولا تنسوا الدعاء لأهلها، وامسكوا ألسنتكم عن اللوم والتقريع.

بوركت يا ملا الخير محمد عمر مجاهدا.
بوركت يا أبا عبد الله ابن لادن.
بوركت يا أيمن الظواهري.
بوركت أبا حفص المصري ورحمك الله تعالى.
بوركت أبا عبيدة البنشيري ورحمك الله تعالى.
بوركت يا خطاب ورحمك الله.
بوركت محمد عطا وسراياك المباركة ورحمكم الله تعالى.

بوركتم يا كتائب القسام في فلسطين.
بـوركت جماعـات الجهـاد الـتي تبـذل جهـدها لحل معضلاتنا.
بـوركتم فقد أجبتم عن بعض أسـئلتنا وما زلنا بحاجة للمزيد.

وأخير نوصيكم بوصـية الإمـام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله:

(فالله الله يا إخــواني تمســكوا بأصل دينكم وأوله وآخره أسه ورأسه وهو شهادة أن لا إله إلا الله، واعرفــوا معناها وأحبوا أهلها واجعلوهم إخوانكم ولو كـانوا بعيـدين، واكفروا بالطواغيت وعادوهم وابغضوا من أحبهم أو جادل عنهم أو لم يكفــرهم أو قــال ما علي منهم، أو قــال ما كلفني الله بهم فقد كذب هذا على الله وافـترى، بل كلفه الله بهم، وفرض عليه الكفر بهم والـبراءة منهم ولو كـانوا إخوانه وأولاده، فالله... اللـه، تمسـكوا بأصل دينكم لعلكم تلقـون ربكم لا تشـركون به شـيئا.. اللهم توفنا مسـلمين وألحقنا بالصالحين)[1].

والحمد لله رب العالمين

[1] الدرر السنية: الجزء الأول: ص78